مرسى الحجر في الصيف: حيث تلتقي الأسر على الشاطئ

(تحقيق: نادية الزعبلاوي)

مرسى الحجر ليست مدينة كبيرة، ولا تحاول أن تكون. هي بلدة صغيرة تعرف سكانها بأسمائهم، ويعرف أبناؤها بعضهم منذ الطفولة. لذلك حين يحل الصيف لا يشعر أهلها بأنهم يستقبلون زوارا فقط، بل يستعيدون جزءا من حياتهم الجماعية. الشاطئ هنا ليس مكانا للسباحة وحدها، بل موعد عائلي يبدأ صباحا ولا ينتهي قبل غروب الشمس.

في صباح الأحد الماضي، وهو أول أيام العطلة المدرسية، كانت الحافلات الصغيرة تصل من القرى المجاورة منذ السابعة والنصف. خرج منها أطفال يحملون دلاء بلاستيكية وكرات ملونة، وتبعهم آباء وأمهات يحملون المظلات والمبردات. في أقل من ساعة امتلأ الجزء الشرقي من الشاطئ، وبدا الرمل كأنه سجادة واسعة تتحرك عليها ألوان الثياب والمناشف.

قال لي عادل منصور، وهو يثبت مظلة قرب الماء: «كنت آتي إلى هنا مع والدي، واليوم آتي مع أولادي. لم يتغير المكان كثيرا، فقط صار الناس أكثر». وأشار إلى أن البلدية أعادت طلاء الممشى الخشبي وزرعت أشجارا صغيرة على طوله، وهي خطوة طلبها السكان منذ سنوات.

أسعار معقولة وخدمات قريبة

ما يميز مرسى الحجر عن كثير من المصايف المجاورة هو أن الأسعار ما تزال في متناول الطبقة الوسطى. فالدخول إلى الشاطئ مجاني، وكراء المظلة لا يتجاوز 5000 ليرة في اليوم، بينما تبلغ أجرة الكرسي 2000 ليرة. وقد حرصت الجمعية المحلية للسياحة على تحديد هذه الأسعار بالاتفاق مع أصحاب الأكشاك، بعد أن ارتفعت في صيف 2021 إلى ضعف ما كانت عليه.

وتضم الجمعية اليوم 130 عضوا، بينهم 16 صيادا و10 أصحاب مطاعم صغيرة. وتقول رئيستها نجلاء الورداني إن الهدف ليس الربح السريع، بل أن يبقى الزائر راضيا فيعود. وأضافت أن الجمعية وزعت 5000 كيس للنفايات على الحاويات، وأن متطوعين من الكشافة يمرون كل ساعتين لجمع ما يتركه الناس خلفهم.

وتعمل في المرسى أيضا مراكز للإسعاف والإنقاذ، وقد سجلت السلطات المحلية في العام الماضي 200 حالة تدخل، بينها 20 حالة غرق فقط، وهو رقم تعتبره الجمعية مرتفعا رغم أنه أقل من السنوات السابقة. وتشرف على المراكز ممرضة واحدة هي سلمى الدباغ، التي تقول إن أكثر الحالات شيوعا هي الإغماء بسبب الحر وليس الغرق.

ليالي الصيف والمهرجانات

مع حلول المساء يتحول الشاطئ إلى مسرح مفتوح. ففي كل ليلة سبت تقام سهرة غنائية، وقد استضاف المرسى في صيف 2022 نحو 3 آلاف شخص في ليلة واحدة. وتعتمد هذه السهرات على فرق محلية وأصوات شابة من المدينة، وهو ما يمنح الفرصة لمواهب لم تكن تجد جمهورا واسعا من قبل.

ويرى الناقد الموسيقي فراس الكيلاني أن هذه الليالي «تعيد للأغنية الشعبية مكانها الطبيعي، بعيدا عن الاستعراض والمبالغة». وأضاف أن الجمهور يغني مع المطربين كلمات يعرفها عن ظهر قلب، وهذا وحده يكفي لنجاح السهرة. وقد حضر إحدى الليالي نحو 2700 شخص، أي ما يقارب عدد سكان البلدة كلهم تقريبا.

(تتمة)

ولا تخلو الصورة من ملاحظات. فالطريق الوحيد المؤدي إلى المرسى ضيق، وتتكون فيه زحمة خانقة عند الظهر، كما أن مواقف السيارات القريبة لا تتسع لأكثر من 300 سيارة. وقد اقترح المجلس البلدي إنشاء موقف ثان قرب التلة الشرقية، على أن يرتبط بالشاطئ بممر مشاة طوله 1.2 كلم، لكن المشروع ما يزال ينتظر التمويل منذ أكثر من عامين.

وتقول نجلاء الورداني إن الجمعية تؤيد الفكرة، لكنها تطلب أن يرافقها تشجير كثيف على جانبي الممر، لأن الظل هو ما يجعل الناس يختارون المشي على السيارة في الحر. وقد وعد المجلس بدراسة الاقتراح قبل نهاية الشهر، غير أن أحدا لم يحدد موعدا للقرار حتى الآن.

أسر تعود كل صيف

ما يلفت الانتباه أكثر من أي شيء آخر هو عدد العائلات التي تعود إلى المرسى سنة بعد سنة. فبحسب سجلات الجمعية، عاد في صيف 2023 نحو 4 آلاف و600 شخص كانوا قد زاروا المكان في 2018 على الأقل. وهذا رقم يدل على أن الشاطئ لم يفقد سحره الأول، رغم كل التغيرات التي شهدتها المدينة في السنوات الخمس الماضية.

وتقول سلمى الدباغ، وهي تراقب ابنتها وهي تبني قلعة صغيرة قرب الماء: «أريد أن تكبر هنا كما كبرت أنا، أن تعرف الطريق إلى البيت بعينين مغمضتين، وأن تعرف أن البحر ليس خطرا إذا احترمته». وهذه ربما هي أجمل شهادة يمكن أن يسمعها أي مسؤول عن مدينة ساحلية في هذا الصيف.

(تتمة)

وتعتمد الجمعية على تبرعات الأعضاء وعلى رسوم رمزية تجمعها في بداية الموسم، وهو ما يكفي لتغطية ثمن الأكياس والطلاء والإنارة، لكنه لا يكفي لتوظيف عمال دائمين. لذلك يعمل المتطوعون في نوبات، ويتبادلون الأدوار بحيث لا يثقل العمل على أحد. وقد قال أحدهم مازحا إن الاجتماع الوحيد الذي لا يتأخر عنه أحد هو اجتماع ما بعد الموسم، حين يجلسون لتقييم ما فات.

وتخطط الجمعية لإطلاق مبادرة جديدة هذا الصيف بعنوان «شاطئ بلا بلاستيك»، تستهدف تقليل استخدام الأكياس والقوارير في المطاعم القريبة. وقد تبنى المجلس البلدي الفكرة مبدئيا، لكنه طلب مهلة ثلاثة أشهر لدراسة آثارها على أصحاب المقاهي. وتأمل نجلاء الورداني أن يبدأ التطبيق في صيف 2024، وأن يكون المرسى أول مصيف في المنطقة يمنع البلاستيك رسميا.

(تتمة)

وتعتمد الجمعية على تبرعات الأعضاء وعلى رسوم رمزية تجمعها في بداية الموسم، وهو ما يكفي لتغطية ثمن الأكياس والطلاء والإنارة، لكنه لا يكفي لتوظيف عمال دائمين. لذلك يعمل المتطوعون في نوبات، ويتبادلون الأدوار بحيث لا يثقل العمل على أحد. وقد قال أحدهم مازحا إن الاجتماع الوحيد الذي لا يتأخر عنه أحد هو اجتماع ما بعد الموسم، حين يجلسون لتقييم ما فات.

وتخطط الجمعية لإطلاق مبادرة جديدة هذا الصيف بعنوان «شاطئ بلا بلاستيك»، تستهدف تقليل استخدام الأكياس والقوارير في المطاعم القريبة. وقد تبنى المجلس البلدي الفكرة مبدئيا، لكنه طلب مهلة ثلاثة أشهر لدراسة آثارها على أصحاب المقاهي. وتأمل نجلاء الورداني أن يبدأ التطبيق في صيف 2024، وأن يكون المرسى أول مصيف في المنطقة يمنع البلاستيك رسميا.

(تتمة)

وتعتمد الجمعية على تبرعات الأعضاء وعلى رسوم رمزية تجمعها في بداية الموسم، وهو ما يكفي لتغطية ثمن الأكياس والطلاء والإنارة، لكنه لا يكفي لتوظيف عمال دائمين. لذلك يعمل المتطوعون في نوبات، ويتبادلون الأدوار بحيث لا يثقل العمل على أحد. وقد قال أحدهم مازحا إن الاجتماع الوحيد الذي لا يتأخر عنه أحد هو اجتماع ما بعد الموسم، حين يجلسون لتقييم ما فات.

وتخطط الجمعية لإطلاق مبادرة جديدة هذا الصيف بعنوان «شاطئ بلا بلاستيك»، تستهدف تقليل استخدام الأكياس والقوارير في المطاعم القريبة. وقد تبنى المجلس البلدي الفكرة مبدئيا، لكنه طلب مهلة ثلاثة أشهر لدراسة آثارها على أصحاب المقاهي. وتأمل نجلاء الورداني أن يبدأ التطبيق في صيف 2024، وأن يكون المرسى أول مصيف في المنطقة يمنع البلاستيك رسميا.

(تتمة)

وتعتمد الجمعية على تبرعات الأعضاء وعلى رسوم رمزية تجمعها في بداية الموسم، وهو ما يكفي لتغطية ثمن الأكياس والطلاء والإنارة، لكنه لا يكفي لتوظيف عمال دائمين. لذلك يعمل المتطوعون في نوبات، ويتبادلون الأدوار بحيث لا يثقل العمل على أحد. وقد قال أحدهم مازحا إن الاجتماع الوحيد الذي لا يتأخر عنه أحد هو اجتماع ما بعد الموسم، حين يجلسون لتقييم ما فات.

وتخطط الجمعية لإطلاق مبادرة جديدة هذا الصيف بعنوان «شاطئ بلا بلاستيك»، تستهدف تقليل استخدام الأكياس والقوارير في المطاعم القريبة. وقد تبنى المجلس البلدي الفكرة مبدئيا، لكنه طلب مهلة ثلاثة أشهر لدراسة آثارها على أصحاب المقاهي. وتأمل نجلاء الورداني أن يبدأ التطبيق في صيف 2024، وأن يكون المرسى أول مصيف في المنطقة يمنع البلاستيك رسميا.